GILLETTE & L'ORÉAL,

WOMEN USA

VOL. V

North Carolina • North Dakota • Ohio • Oklahoma
Oregon • Pennsylvania • Rhode Island • South Carolina



FERDINANDO FREGA

GILLETTE & L’ORÉAL, WOMEN USA — VOL. V

L’ORÉAL THROUGH GILLETTE · 16

كارولاينا الشمالية، داكوتا الشمالية، أوهايو، أوكلاهوما، أوريغون، بنسلفانيا، رود آيلاند، كارولاينا الجنوبية. المرحلة الخامسة من العبور الأمريكي، من ساحل إلى ساحل ثم العودة.

الفصل صفر — افتتاحية مشتركة

هذا الفصل الافتتاحي مشترك بين المجلدات الستة لنساء الولايات المتحدة. يُنشر هنا كاملًا، ومطويًّا كي تُقرأ السلسلة بالتتابع من دون تكرار.

الفصل صفر

هنا ليس العالم أرضًا: إنه حدّ. القطب الشمالي لا يرحّب، ولا يغفر، ولا يترك مجالًا للخطأ. البياض يحكم ككيان مطلق، صامت وبلا ذاكرة. درجة الحرارة ليست معطًى جويًّا: إنها مفترس. الليل يدوم شهورًا، يسحق الأفكار، ويشوّه ملامح الناس، ويبتلع إرادتهم.

المجتمعات قليلة، صغيرة، ومنغلقة. الإنويت، واليوبيك، وشعوب القطب يعيشون حيث لا يختار أحد أن يبقى. هنا كل فرد ضروري لبقاء الجماعة. إن لم تكن نافعًا، صرت عبئًا. ومن يصير عبئًا يختفي في الصمت، في الثلج، في منطق بيئة لا تقدّم أي تنازل.

وتضيف القواعد العلمية نوعًا آخر من البرد: برد التراتبيات. هنا المرأة حضور نادر، شذوذ عليه أن يتكيّف أو يستسلم.

في هذا المكان لا وجود لمفهوم «الاختفاء». لا يوجد إلا البياض الذي يمحو كل شيء.

نساء الإنويت واليوبيك

الفتاة القطبية لا تُدلَّل: إنها تُعَدّ. تتعلّم باكرًا أن تقاوم البرد والظلام والجوع. عليها أن تصير نافعة للعشيرة، لأن الهوية هنا ليست شخصية. إنها وظيفية. المرأة تحمل عبء العائلة والجماعة: الطعام، والنار، والأطفال، والجلود، والرعاية. لا أحد يتحدّث عن الحقوق. لا أحد يتحدّث عن الهشاشة. الاكتئاب موجود، لكن لا اسم له. العنف موجود، لكن لا شهود عليه.

امرأة القواعد العلمية

متعلّمة، كفؤة، معتادة على الانضباط. تصل باحثةً، وتقنيةً، وطبيبةً. وسرعان ما تكتشف أن القطب الشمالي لا يعترف بالشهادات. هنا لا تُحتسَب إلا الصلابة الذهنية. التراتبيات الذكورية تهيمن عليها، وأي علامة ضعف تُفسَّر ضعفًا. إنها بيئة لا تكفي فيها القوة: المطلوب ضبط للنفس إلى أقصى حد.

المرأة الغربية «الوافدة من الخارج»

نشأت في الحرية، وتصل وهي تظن أنها قادرة على قهر البرد. لكن المكان يكسرها: الوحدة، والمساحات الضيقة، والصمت الذي لا ينتهي. القواعد ليست مجتمعات، إنها آليات. والمرأة، داخل آلية صمّمها رجال، عليها أن تقاتل كي لا تختفي.

الرحلة إلى حافة العالم

جاري أنطونيو، المعروف بنينو، كان يتحدّث منذ سنوات عن نوردكاب، عن شمس منتصف الليل، عن شهور بلا ظلام. كان حلمًا يحمله في جيبه، كشيء مستحيل. في صباح من أيام مايو، قرعتْ جرس بابه وقلت له هذا فقط: «جهّز حقيبتك. سأعود بعد ساعة. سنرجع بعد 30 يومًا.» نظر إليّ مندهشًا، سعيدًا. سألت زوجته، قلقةً، عن خططنا. «نطارد حلمًا»، أجبتُ.

ركبنا السيارة. زوجتانا نظرتا إلينا كأننا مجنونان. لكن هذه الرحلة كانت حقيقية. كان نينو ممتلئًا بالأسئلة منذ البداية. «إلى أين نذهب؟ كم من المال عليّ أن آخذ؟» «اهدأ»، قلت له. «سنصل بعد 54 ساعة. 5,000 كم فقط. نحن في الـRange Rover الجديدة. استمتع بالطريق.»

كل 300 كم كان عليّ أن أتوقّف: هو، الأكبر مني باثني عشر عامًا، كان له إيقاعه. أنا كان معي الماء والسوائل؛ وهو كان له القهوة وحاجاته الجسدية. وكلما ابتعدنا، ازداد حديثه عن حياته. أشياء ما كنت لأعرفها أبدًا لولا ذلك الطريق الذي لا ينتهي.

رجلان وحدهما في سيارة يتحدّثان دائمًا عن النساء. هو لم يعرف إلا زوجته. ضحكتُ. طمأنته: «نحن هكذا أيضًا.»

سألني كيف أحافظ على عقلي وأنا أقود 60 ساعة. حكيتُ له عن روسيا، حين قدتُ في الثانية والعشرين 51 ساعة لألقى امرأة لم أكن قد رأيتها قط. «المسافات ليست حدودًا»، قلت له، «إنها أعذار. وأنا لم يكن لديّ أيٌّ منها قط.»

الوصول إلى البياض

دخلنا النرويج. نُزُل على الطريق. سنترك السيارة هناك ونكمل بالزلّاجة.

كانت المرشدة مغطّاة، لا يُنفَذ إليها. حين خلعت نظّارتها، اكتشفتُ أنها امرأة. امرأة نرويجية، صامتة، مباشرة، جليدية. نينو في وسط الزلّاجة، وهي في المقدّمة، وأنا بقامتي البالغة 190 سم في الخلف، أختم الركب.

كان النهار ما يزال قائمًا. ساعتي تشير إلى الوقت، لكنها لا تقول لي إن كان ليلًا أم صباحًا. كانت شمس منتصف الليل. لقد بلغنا نوردكاب.

بكى نينو. عانقني. قلت له ضاحكًا: «انتبه... قد يظن الناس أننا مثليّان.» ضحكنا، لكننا كنا على حافة العالم.

ثم جاء الصقيع: −52°C.

الدخول إلى القطب الشمالي الحقيقي

أخذونا إلى حاوية معدنية لنبدّل ثيابنا. برّات ثقيلة جدًّا، محشوّة، تُغلق بسحّابات معقّدة.

دفعتُ أجرة المرشدة. تُرك نينو في إيغلو مع بعض الرجال؛ وتُركتُ أنا في آخر مع عائلة: رجل مسنّ، بين السبعين والثمانين، وثلاث نساء بين الثلاثين والخمسين.

كان عالمًا مغلقًا. بسيطًا. قاسيًا.

الرجل يقف جانبًا. النساء يحفظن الإيقاع. وكان الحمّام تلّةً على بعد خمسة أمتار من الإيغلو: البراز يتجمّد قبل أن يبلغ الأرض. بولي الأول صار نجمةً قطبية صفراء. كان ذلك الشمال يحيّيني.

المرأة متوسّطة العمر، ماغي، كانت تتكلّم قليلًا من الإنجليزية. والباقي إشارات، وعيون، وأيدٍ. لغة البرد.

حين لم أكن متأكّدًا من طريقة استعمال البرّة، لمستْ، من دون تفكير، ما بين فخذيّ لتريني سحّابًا مخفيًّا. لم يكن فيه خبث، ولا حرج: مجرّد وظيفة. بقاء.

الأيام الثلاثة في الإيغلو

جلبوا الطعام. سمك مدخّن، سمك نيء، كبد القدّ، بطن الحوت. وكرات من لحم القرش. لم يكن هناك خيار. لم يكن هناك بديل. كان ما تمنحه الطبيعة.

ثم شربتُ: سائلًا أحمر. ظننته نبيذًا. كان دم حوت مصفّى، مغليًّا، محلّى. شربته. أعطاني قوة لم أشعر بمثلها من قبل. طاقة بدائية. ظننتها كوكايين. لا. كان الشمال يدخل الجسد.

النساء يراقبنني. العجوز خرج يصطاد. وأنا أستريح وأشرب الدم. ثلاثة أيام بلا هاتف، ولا إنترنت، ولا حاسوب، ولا نينو. أنا وهنّ فقط.

لم يكن هناك ليل. لا شيء سوى الضوء، والنار، والجليد، والأنفاس.

استلقت النساء الثلاث للنوم. بحثتُ عن مكان. رفعت الصغرى ذراعها وأشارت إليّ أن أقترب. انفجرن ضاحكات. لم أفهم. قلن إنني «عيد الميلاد» الخاص بهنّ.

طريقة للقول إنني قد قُبلتُ.

حاولتُ أن أعطيهنّ بعض المال شكرًا. رفضن. أردن عناقًا فقط. وبضع كلمات بالكالابرية ليشعرن بقرب أكبر.

هناك فهمتُ قيمة الهدايا الحقيقية: تلك التي لا تُشترى ولا تُباع.

وداع المرشدة

بعد ثلاثة أيام، وصلت المرشدة. تحدّثت مع النساء الثلاث ساعة كاملة. كنتُ في الخارج. لم أفهم ما كنّ يقلن. لم يكن ذلك شأني. كانت لغتهنّ، وعالمهنّ، وشريعتهنّ.

في الحاوية، بينما كنت أخلع ثيابي، دخلت المرشدة. فضولية. مباشرة. شمالية. عانقتني بقوة. قبّلتني. كانت بشرتها بيضاء كالحليب. وعيناها زرقاوين كسماء أغسطس.

طلبت مني أن آخذها معي. كانت ستفعل أي شيء لتخرج من ذلك العالم.

ابتسمتُ باحترام. لم أستطع. وما كان ينبغي لي.

تركتُ لها وعدًا واحدًا فقط: «إن احتجتِ إلى أي شيء، اكتبي لي رسالة. سأساعدك.» رفضت حتى المال. كانت امرأة جميلة، لكنها وحيدة. وحدة لا تُرى من بعيد. وحدة لا يغفرها البرد.

العودة إلى البيت

ذهبنا لنأخذ نينو. كان في غاية الحماس. لم يكن يريد العودة. لكن كان عندي موعد مع زوجته.

حكى للجميع عن أيامه الثلاثة. أنا صمتٌ. لم أشارك الرجل شيئًا قط. وحده الورق.

وهكذا، بينما كان نينو يعود إلى عالمه، كنتُ أنا قد صرتُ في طريقي إلى عالم آخر. وجهة أخرى. لقاء آخر.

أهلًا بكم.

خاتمة

الشمال لا يأخذك: إنه يغيّرك. ولا يعيدك

كاملًا أبدًا. يأتي الرجال إلى القطب الشمالي بحثًا عن الضوء، والصمت، والصور، والأحلام. والنساء يبقين ليعشن.

الرجال يروون ما رأوه. والنساء يكتمن ما عشنه.

الرجال يعودون. والنساء يبقين. يبقين في البرد، في بيوت الثلج، في صمت لا يسمعه أحد. يبقين ليسندن جماعات لا تحتفي بهنّ. يبقين ليحمين الأطفال، والمسنّين، والغرباء. يبقين غير مرئيات.

لم آخذ من هناك إلا ذكرى واحدة: امرأة جميلة، جميلة إلى حدّ لا يُصدَّق، لكنها وحيدة. لا بالمعنى الرومانسي. بالمعنى الإنساني. بالمعنى المأساوي.

نأمّل

الشمال لا يقتل الجسد. إنه يقتل الحضور. وما يبقى هو البياض: مكان تعيش فيه النساء ويختفين في آن.

لهذا أكتب. لأن الأماكن القصوى لا تروي قصتها بنفسها. ومن يعبرها لا يملك ترف البقاء صامتًا.

لستُ أنا. لستُ أنا. أرضي أنجبتني، وبقية العالم تستقبلني لا ضيفًا، بل واحدًا من العائلة.

من البياض المطلق للشمال، نزلتُ إلى الفوضى المطلقة للولايات المتحدة.

الولايات المتحدة الأمريكية

المهمة المستحيلة

أن تعمل ثمانية عشر عامًا لدى شركة أمريكية يمنحك شيئًا لا تستطيع أي شركة أخرى في العالم أن تمنحه: ثقافة عمل، وإجراءات، ورسالة واضحة، ومنظومة قيم ليست نظرية، بل ممارسة يومية. لا يشرحونها لك؛ بل يبنونها فيك. ويفعلون ذلك من دون أن يستأذنوك.

كنت في مكتب نيويورك حين عُرض عليّ عمل لم أتخيّله قط. لا ترقية. ولا نقل. بل تجربة.

برنامج سرّي، أُنشئ للتحقّق من نموذج للعلاقات الإنسانية داخل الولايات المتحدة. لم يختاروا مديرين، ولا علماء نفس، ولا مدرّبين. اختاروا أشخاصًا لديهم نوع معيّن من التجربة في العالم الحقيقي. وظهر اسمي، مع أنني

قضيت ثمانية عشر عامًا في المبيعات. لم يكونوا ينظرون إلى المنصب: كانوا ينظرون إلى العقل.

كان الاختبار بسيطًا في شرحه وصعبًا للغاية في إنجازه:

زيارة الولايات الأمريكية الخمسين في سنة واحدة، أختار المدن بنفسي وأبقى أسبوعًا على الأقل في كل منها.

الأسبوعان الأخيران سيكونان إجازة إجبارية. سيتكفّلون بكل المصاريف. وما عليّ إلا أن أعيش، وأراقب، وأفهم، وأسلّم تقريرًا كل يوم اثنين. حسابًا إنسانيًّا، جافًّا، دقيقًا.

وقّعتُ العقد. أبلغتُ البيت. لم يسألوا شيئًا. أرادوا فقط أن يعرفوا إن كانت المؤونة الشهرية قد وصلت. كنتُ على وشك أن أواجه سنة في أمريكا. وهم، كالعادة، كانوا يواجهون الشهر التالي.

ومن باب الحيطة، كان راتبي يُودَع مباشرة في حسابي المصرفي في إيطاليا. كانت طريقة مهذّبة لتقول لي: «لا تفعل حماقات. عش بما لديك. لنرَ من أنت حقًّا.»

بعد خمسة عشر عامًا فقط تمكّنتُ من الاطلاع على تقاريري الأصلية، والتحليلات، والمواد التي جمعوها عني. من هناك وُلد هذا الكتاب. حصلتُ على الموافقة على نشره، بشرط واحد: ألّا أذكر أبدًا اسم الشركة التي طلبته.

لا يهم. هذه القصة ليست عن الشعارات. إنها عن رجل في بلد يستحيل فهمه إلا إذا عشته بنفسك.

هل أبدأ من أبعد نقطة؟

كان الخيار المنطقي أن أبدأ من الأطراف، لا من المركز. لسببين بسيطين:

1. كنتُ خارجًا للتوّ من التجربة: صفاء عالٍ، وانتباه في أقصاه.

2. بالبدء من الطرف الأقصى أستطيع تصحيح المسار وإنهاء الرحلة بنظافة.

لم أكن بحاجة إلى البدء من بوسطن أو شيكاغو. كان عليّ أن أبدأ من حدّ. من مكان ليس أمريكا إلا على الورق.

اخترتُ جونو، عاصمة ألاسكا. معزولة. لا يُوصَل إليها إلا بالقارب أو الطائرة. مدينة لا تنتمي إلى أحد. المكان المثالي للبداية.

حسن إدارة الموارد

قبل الرحيل، فعلتُ ما يحترمه الأمريكي قبل كل شيء: نظّمتُ نفسي كمحترف، لا كسائح.

اتصلتُ بثلاث من أشهر شركات الطيران، تلك التي تملك أوسع الشبكات الداخلية. وفي أقل من ساعة، اشتريتُ دفترًا من خمسين رحلة داخلية بخصم 60%.

بلا حدود زمنية. بلا حدود للأيام. بلا قيود. شرط واحد فقط: استعمالها خلال سنة.

فعلتُ الشيء نفسه مع سلاسل الفنادق، وسيارات Uber، وشركات تأجير السيارات، ثم أعددتُ جدولًا محكمًا للمراحل، والوسائل، لا للأوقات.

كنتُ جاهزًا.

كان أول نجاح حقيقي لي. العلامة الأولى على أنني أعرف كيف أتحرّك. أمريكا تكافئ من يفعل، لا من ينتظر.

حين رأت الشركة المعاملة، فعلت ما تفعله الثقافة الأمريكية دائمًا: تحقّقت من الموثوقية.

هل كنتُ قادرًا على إدارة سنة من التنقّل الدائم؟ هل كنتُ قادرًا على مواجهة الطوارئ، والمسافات، والحالات العاجلة؟ هل كنتُ مستقلًّا؟

لهذا، قبل الرحيل، ضبطتُ تفصيلًا حاسمًا آخر:

تأكّدتُ من أن لديّ سقفًا شهريًّا لا يقل عن 100,000 دولار على بطاقتي الائتمانية.

لم يكن للإنفاق. كان لإثبات أننا قادرون على إدارتها. هكذا يفكّر الأمريكيون: إن لم تكن لديك استقلالية، فلا حرية لك. وإن لم تكن لك حرية، فلا يمكن تقييمك.

منذ تلك اللحظة، لم يعد البرنامج تكليفًا. صار رسالة.

والآن نسافر حقًّا

ألاسكا جزء من الولايات المتحدة بالجغرافيا فقط. إنها عالم آخر.

إنها المكان الذي تختفي فيه النساء بلا أثر. حيث لا تصل الشكوى إلى وجهتها أبدًا. حيث المدن ليست إلا جزرًا متحضّرة وسط قارة متوحّشة.

كانت جونو اختباري الأول: عاصمة لا تربطها أي طريق ببقية البلاد. قطعة من أمريكا لا تشبه أمريكا.

هنا بدأتُ أفهم شيئًا: الرحلة لن تكون جغرافية. ستكون إنسانية.

المجموعة 1 (المجلد الأول)

ألاباما – ألاسكا – أريزونا – أركنساس – كاليفورنيا – كولورادو – كونيتيكت – ديلاوير – فلوريدا – جورجيا

المجموعة 2 (المجلد الثاني)

هاواي – أيداهو – إلينوي – إنديانا – آيوا – كانساس – كنتاكي – لويزيانا – مين – ماريلاند

المجموعة 3 (المجلد الثالث)

ماساتشوستس – ميشيغان – مينيسوتا – ميسيسيبي – ميزوري – مونتانا – نبراسكا – نيفادا – نيوهامبشير – نيوجيرسي – نيومكسيكو

المجموعة 4 (المجلد الرابع)

نيويورك – واشنطن

المجموعة 5 (المجلد الخامس)

كارولاينا الشمالية – داكوتا الشمالية – أوهايو – أوكلاهوما – أوريغون – بنسلفانيا – رود آيلاند – كارولاينا الجنوبية

المجموعة 6 (المجلد السادس)

داكوتا الجنوبية – تينيسي – تكساس – يوتا – فيرمونت – فيرجينيا – فيرجينيا الغربية – ويسكونسن – وايومنغ

كارولاينا الشمالية

كارولاينا الشمالية ولاية تعيش على مسارين. من جهة هناك «أمريكا الجديدة»: البحث الجامعي، والتكنولوجيا، والشركات الناشئة، والأطباء، والمهندسون، والباحثون، ومدن حديثة تنمو. ومن جهة أخرى هناك «أمريكا القديمة»: – أرياف فقيرة – مجتمعات معزولة – تقاليد ثقيلة – عمل بدني – رعاية صحية بعيدة – أدوار ما تزال جامدة. لا يعيشان معًا. يتجاهل أحدهما الآخر. النساء يختفين هنا بحسب المكان الذي يولدن فيه: – في الحداثة، بسبب الضغط والتنافس – في الريف، بسبب العزلة والتقاليد – في المدن المتوسطة، بسبب العمل البخس الأجر وغياب الخدمات – في المجتمعات السوداء التاريخية، بسبب صراع مزدوج: عرقي وجندري.

كارولاينا الشمالية مهذّبة في الظاهر وشرسة في التفاصيل.

امرأة مثلث البحث – 33 عامًا

سارة محلّلة بيانات في شركة ناشئة. مجتهدة، لامعة، ومُعدّة جيدًا، تعمل في بيئة تقدّم نفسها على أنها تقدّمية، «أوروبية»، وحديثة.

الحقيقة: – ساعات طويلة – توقّعات لا تنتهي – أهداف تتغيّر كل أسبوع – مديرون شباب يستنزفون الناس من دون أن ينتبهوا – نساء عليهن أن يبذلن ضعف الجهد لينلن نصف الاعتراف.

درست سارة، واستثمرت سنوات، وضحّت بحياتها ووقتها. وهي الآن داخل منظومة تصفّق لها وتستهلكها في اليوم نفسه.

غيابها مهني: هي ضرورية لبناء المستقبل، لكن لا شبكة لديها تحميها.

المرأة الريفية – 49 عامًا

على بعد مئة كيلومتر من الحداثة، هناك كارولاينا شمالية أخرى. بيوت متباعدة، حقول تبغ وصويا، شتاءات طويلة، وصيف قاسٍ. طرق بلا أرصفة، بلا متاجر، بلا أي شيء.

ليندا تعيش في إحدى هذه المناطق. تعمل بدوام جزئي في متجر محلي. تقطع أميالًا لكل شيء: الطبيب، والصيدلية، والمدرسة، والمصرف. يومها كله على كتفيها: – الأولاد – البيت – المسنّون – العمل – المشاوير – طوارئ تحلّها وحدها.

لا تستطيع أن تختار. لا تستطيع أن تتغيّر. لا تستطيع أن تكسر الروتين الذي تفرضه الأميال.

غيابها جغرافي: تعيش أبعد من أن تُرى.

المرأة الأمريكية الأفريقية من المدينة المتوسطة –

38 عامًا. كيم تعمل في مركز اتصالات في شارلوت. تعمل بنصوص جاهزة، ومؤقّتات، ومقاييس، ومشرفين يراقبون كل استراحة.

لديها ولدان وأمّ ترعاها. المدينة تنمو، والشركات تصل، وناطحات السحاب ترتفع. لكن الفرص الحقيقية لا تصل إليها.

كارولاينا الشمالية تتحدّث عن التنمية، لكن تلك التنمية تمرّ فوق المجتمعات السوداء من دون أن تتوقّف.

كيم تحمل: – عملًا يستنزف المشاعر – دراسة الأولاد – إنهاكًا يوميًّا – تكاليف ترتفع – حراكًا اجتماعيًّا لا وجود له في الحقيقة.

غيابها عرقي واقتصادي: هي عمود المدينة، لكنها لا تصعد أبدًا إلى القمة.

امرأة السواحل – 41 عامًا

تانيا تعيش على الساحل. البحر جميل، والبيوت معتنى بها، والسياحة قوية. لكن الحياة الحقيقية شيء آخر.

تعمل في منتجع: – الغرف – الغسيل – التنظيف – استقبال السيّاح – نوبات طويلة – أجور منخفضة

الصيف حِمل زائد. والشتاء صمت وحسابات لا تستقيم.

كارولاينا الشمالية الساحلية جميلة في الصور، لكنها تقوم على كدّ نساء لن يرين تلك الثروة أبدًا.

غيابها اقتصادي: كل شيء يدور حول السياحة، لكن من يحملها لا ينلن ما يستحققن.

خاتمة – كارولاينا الشمالية

كارولاينا الشمالية ولاية تقسمها ديناميات متباعدة جدًّا. النساء يدفعن الثمن في كل مكان: في التكنولوجيا التي تعد بالفرص من دون سند، وفي الأرياف التي تعزل، وفي المدن التي تنمو من دون إدماج، وفي السواحل التي تعيش على مواسم قصيرة وشاقة.

إنه محوٌ حديث وقديم في آن. النساء قوى دافعة في كل ركن من الولاية، لكن الولاية تعدّهن حضورًا لا بدّ منه.

تأمّل – كارولاينا الشمالية

كل ولاية في هذا المجلد ترسم شكلًا مختلفًا من الغياب. كارولاينا الشمالية تُظهر الغياب المولود من المسافة الداخلية: الهوّة بين الغني والفقير، بين المدينة والريف، بين الجديد والقديم، بين ما تعد به الولاية وما تقدّمه.

المرأة تعيش دائمًا في المنتصف. هي الخيط الذي يصل عوالم لا يكلّم بعضها بعضًا. ولأنها بالضبط تمسك كل شيء معًا، لا أحد يضعها في المركز.

هذا الفصل يقول ذلك بلا مصافٍ: الحداثة وحدها لا تحرّر أحدًا. علينا أن نعترف بمن يحملها حقًّا.

داكوتا الشمالية

داكوتا الشمالية أرض لا ترحم. شتاءات قاسية، ورياح تشقّ الجلد، وطرق طويلة فارغة، وبلدات صغيرة نائية، ومجتمعات أصلية غير مرئية، وحقول

نفط تهيمن على المشهد.

إنها ولاية تعيش فيها النساء بين قوّتين متعاكستين: طبيعة تأمر ومجتمع لا يتغيّر.

إنها مكان يكافئ الاحتمال أكثر من السعادة. وداخل هذا المنطق، تختفي النساء في تفاصيل اليوم: – في الأعمال البخسة الأجر – في العزلة الجغرافية – في غياب الخدمات – في الأدوار العائلية القاسية – في المجتمعات المعزولة – في الإيقاعات التي يفرضها اقتصاد يهيمن عليه الرجال.

داكوتا الشمالية ليست سيئة. إنها خشنة. وفي خشونتها، تُبتلع نساء كثيرات بلا صوت.

امرأة منصّة النفط – 35 عامًا

جيسيكا تعيش في ويليستون، مدينة النفط. تعمل عاملةَ تنسيق في منشأة. هي واحدة من نساء قليلات في منشأة يهيمن عليها الرجال، بنوبات ثقيلة، وشاحنات ضخمة، وورشات، وضجيج دائم.

كل يوم امتحان: – نكات غير لائقة – تعليقات لا طائل منها – احترام عليكِ أن تكسبيه عشر مرات – خطر في العمل – خصوصية معدومة.

الأجر جيد، لكن الكلفة الإنسانية هائلة. لا أصدقاء حقيقيين لديها. لا علاقات مستقرة. لا شبكة سند.

غيابها اجتماعي: محاطة بالرجال، ومع ذلك وحيدة.

امرأة السكان الأصليين – 40 عامًا

كثير من مجتمعات السكان الأصليين في داكوتا الشمالية يعيش منسيًّا. المساكن شحيحة، والفرص غائبة، والمدارس ضعيفة، والمستشفيات بعيدة. النساء الأصليات يحملن إرثًا من الجراح لم تداوه الولاية قط.

لألانا أربعة أولاد. تعمل بدوام جزئي في مركز مجتمعي. تاريخ شعبها مكتوب في كل مكان: في الوجوه، وفي الصمت، وفي الغيابات.

المشكلات دائمة: – بطالة – إدمان منتشر – دعم من الولاية يكاد يكون معدومًا – بنية تحتية هشّة – اكتئاب اجتماعي.

غيابها تاريخي وبنيوي: الثقافة قوية، لكن الحاضر يتجاهلها.

امرأة البلدات الصغيرة جدًّا – 50 عامًا

داكوتا الشمالية مكوّنة من بلدات لا تظهر على الخرائط. خمسة شوارع، ومدرسة، وكنيسة، ومحطة وقود.

كارين تعيش في واحدة منها. تعمل في بقالة صغيرة. كل يوم ترى الوجوه نفسها، والحركات نفسها، والأحاديث نفسها.

للوصول إلى مستشفى، عليهم أن يقودوا ساعة. وللعثور على عمل مختلف، أكثر من ذلك. وللعثور على أي شيء جديد ولو قليلًا، يلزم ساعتان.

غيابها جغرافي: لا بدائل لديها. حياتها يحدّدها المكان الذي تعيش فيه.

امرأة الحدود الزراعية – 47

عامًا

ميغان تعيش في أكثر مناطق الولاية زراعةً. حقول لا تنتهي، وجرّارات، ومحاصيل، وثلج يتساقط باكرًا جدًّا.

تعمل في المزرعة: – الحيوانات – الأدوات – الإسطبلات – الصيانة – الحسابات – الطبخ – العائلة – طوارئ عليها أن تديرها دائمًا.

امرأة المزرعة هنا تحمل أكثر من ضعف الحِمل الذي يبدو عليها. ذراعان، وعقل، وإدارة، وعمود فقري. لكن كل ذلك يُوصف بأنه «مساعدة في المزرعة».

غيابها ثقافي: تفعل كل شيء لكن لا يُعترف بها أبدًا جزءًا مركزيًّا من الاقتصاد.

خاتمة – داكوتا الشمالية

داكوتا الشمالية ولاية لا تحمي. تطلب القوة، وتطلب المقاومة، وتطلب الصبر. المرأة تجيب بالتزام كامل، لكن الولاية لا تجيبها.

من منصّة النفط إلى المحمية الأصلية، ومن القرى الصغيرة جدًّا إلى المزارع المعزولة، النساء لا يختفين، بل تمتصّهن الأرض، كأن حضورهن أمر مفروغ منه.

نأمّل – داكوتا الشمالية

لكل غياب سبب. في داكوتا الشمالية، السبب هو الأرض نفسها: شاسعة، قاسية، نائية، قليلة الكفاءة، ذكورية في اقتصادها، بطيئة في تغيّرها.

المرأة تعيش في مشهد لا مكان فيه للهشاشة، في مجتمع يعدّ كدّها جزءًا لا مفرّ منه من الديكور.

ليست غير مرئية لأنها بلا قيمة: إنها غير مرئية لأن الأرض هنا أكبر من الناس.

وهذا الفصل يذكّرنا: القوة ليست خيارًا. في بعض الأماكن هي الخيار الوحيد.

أوهايو

أوهايو مرآة أمريكا الصامتة. إنها ولاية المدن الصناعية المنهارة، والضواحي بلا اتجاه، والعائلات الفارغة، والشباب الهاربين، والأعمال التي لم تعد تضمن شيئًا. أرض كانت تنتج كل شيء وصارت تنتج الانتظار: انتظار مستقبل أفضل، انتظار فرصة لا تأتي أبدًا، انتظار تغيير يتحرّك ببطء، وهو واقف في مكانه.

المرأة هنا تمسك معًا أجزاء كان على الولاية أن تسندها: – عائلات محطّمة – مداخيل غير مستقرة – مجتمعات جرحتها المخدرات – بيوت تتداعى – مدارس تكافح – خدمات اجتماعية مُتخمة.

أوهايو لا تقتل المرأة. إنها تقطع أنفاسها. ببطء، وبصمت، قليلًا كل يوم.

امرأة المدينة الصناعية المنهارة – 46

عامًا

ميشيل تعيش في كليفلاند، في حيّ كان يومًا يعجّ بالعمل. أبوها عمل في مصنع. وجدّها أيضًا. ثم تغيّر كل شيء: نقل للمصانع، وإغلاقات، وإفلاسات.

الآن تعمل في سوبرماركت: نوبات متغيّرة، أجر منخفض، لا أمان. كل شهر عليها أن تُجري حسابات جراحية لتتجنّب الإفلاس.

البيت قديم، والحيّ هشّ، والفرص قليلة.

غيابها اقتصادي وجيلي: تعيش في النقطة المحدّدة التي انهارت فيها هوية صناعية كاملة، آخذةً معها النساء اللواتي لم يستطعن اختيار مستقبل مختلف.

المرأة التي تربّي عائلة خلال أزمة

المواد الأفيونية – 38 عامًا. أوهايو واحدة من عواصم وباء المواد الأفيونية في أمريكا. شركات أدوية، وأطباء متساهلون، ومجتمعات هشّة: انفجار بطيء دمّر عائلات بأكملها.

إميلي تعيش في دايتون. مات زوجها بجرعة زائدة من المخدرات قبل ثلاث سنوات. لديها ولدان وتعمل موظفة استقبال في عيادة. كل يوم ترى وجوهًا مألوفة: أمهات يائسات، وشبابًا محطّمين، وآباء لم ينجوا.

أوهايو تتحدّث عن «أزمة المواد الأفيونية». وهي تتحدّث عن الغياب: رجل ضاع، وعائلة تحطّمت، وحِمل يسقط كله على كتفيها.

غيابها عاطفي واجتماعي: تُبقي الأولاد في البيت والعمل طافيًا، بينما المنظومة التي صنعت المشكلة لا تفعل شيئًا لإصلاحها.

المرأة البيضاء الفقيرة في الضواحي – 28 عامًا

سامانثا تعيش في ضاحية تبدو كأنها خرجت من فيلم باهت: Walmart، ومحطات وقود، وبيوت جاهزة، ومطاعم وجبات سريعة، ومواقف سيارات لا تنتهي.

تعمل في McDonald's. نوبات متكرّرة، وحركات آلية، وزبائن متوتّرون، وتغييرات شهرية في الإدارة. تكسب ما يكفي لتعيش، لكن ليس ما يكفي

لتنمو أبدًا.

أمها لم تعد تعمل. شريكها يحضر ويغيب. لديها أحلام لا تعرف أين تضعها. غيابها جماعي: محاطة بأناس في الحال نفسها، وهذا يجعل الجهد أكثر خفاءً.

لا أحد يرى ما هو عادي عند كثيرين جدًّا.

امرأة المنطقة الزراعية – 54 عامًا

خارج المدن، ثمة أوهايو تعيش على الزراعة والمواشي الصغيرة والعمل البدني. هنا تتولّى النساء كل شيء: الحسابات، والحيوانات، والمحاصيل، والأطفال، والمسنّين، والبيت.

تعيش ليندا في مزرعة قرب لانكستر. كبر أولادها، وزوجها يعمل في الخارج، وهي تبقى لتدير كل ما تتطلّبه الأرض.

تعمل سبعة أيام في الأسبوع، في الحرّ والبرد والمطر والثلج. لا يوجد يوم عطلة. لا توجد استراحة للعقل. لا يوجد اعتراف.

غيابها ثقافي: من المسلَّم به أن المرأة الزراعية «تتدبّر أمرها». نعم، تدبّرت أمرها. لكن الثمن يبقى دائمًا ثمنها هي.

خاتمة – أوهايو

أوهايو ولاية أُخذ منها الكثير، وتعلّمت أن تأخذ ممّن لهم أضعف صوت.

النساء هنا لا يطلبن معجزات. يطلبن الاستقرار، والحماية، وفرصًا حقيقية. ويحصلن على فُتاتها.

من المدن الصناعية المنهارة إلى الأحياء التي تنهشها المواد الأفيونية، إلى الضواحي البيضاء بلا مستقبل، إلى الأراضي الزراعية التي لا تستريح أبدًا، تمسك النساء معًا ما لم تعد الولاية تسنده.

تأمّل – أوهايو

غياب النساء في أوهايو ليس نتيجة سبب واحد. إنه نتيجة اجتماع كل الانهيارات: الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والعائلية، والمجتمعية.

هنا تعيش المرأة في الشرخ بين ما كانته أوهايو وما لم تعد قادرة على أن تصيره.

إنه غياب لا يُحدث أي ضجيج، لأنه صار أمرًا عاديًا.

ومهمّة هذه الصفحات هي هذه بالذات: أن تجعل غير المرئي مرئيًا، وأن تمنح وجهًا لمن يحملن كل شيء دون أن يُذكر اسمهن أبدًا.

أوكلاهوما

تعيش أوكلاهوما في توتّر دائم بين الماضي والحاضر. إنها ولاية مليئة بالأرض والريح والكنائس والمجتمعات الريفية والمدن المتوسطة التي تمرّ بتحوّل، وبإرث من السكان الأصليين لم تعترف به الولاية إلا نصف اعتراف. إنها أرض ضربتها كل أنواع العواصف: الاقتصادية، والمناخية، والاجتماعية، والثقافية.

وكل عاصفة تسقط دائمًا على الأكتاف نفسها: أكتاف النساء.

في أوكلاهوما، النساء محبوسات خلف جدران أدوار جامدة، يسحقهن فقر واسع الانتشار، ويجعلهن غير مرئيات دينٌ يتحدّث كثيرًا عن العائلة وقليلًا عن الحماية الحقيقية. إنها ولاية تعيش على المقاومة، والنساء أكثر أعمدتها إنهاكًا.

امرأة حزام الكتاب المقدّس – 32 عامًا

وُلدت هانا في عالم كان كل شيء فيه مقرّرًا سلفًا: كيف تلبس، كيف تتكلّم، كيف تتصرّف، بماذا تؤمن، ممّا تبتعد.

العائلة، الجماعة، الكنيسة: ثلاث دوائر متّحدة المركز تحدّد حياتها.

لديها زوج، وطفلان، وبيت متواضع. يومها تحكمه: – مدرسة الأطفال – التسوّق – الكنيسة – العمل التطوّعي الإلزامي – الواجبات العائلية – صفر مساحة ذهنية.

لا تستطيع أن تُبدي شكوكًا. لا تستطيع أن تختار حقًّا. لا تستطيع أن تغادر القفص دون أن تُحاكَم كخائنة للجماعة.

غيابها ثقافي وروحي: تعيش في حضور دائم، لكن كوظيفة، لا كإنسانة كاملة.

امرأة السكان الأصليين – 45 عامًا

في أوكلاهوما واحدة من أكبر تجمّعات الأمريكيين الأصليين في البلاد. لكن الهوّة بين الثقافة والرخاء هائلة.

كايلا عضوة في أمّة الشيروكي. تعمل في مركز ثقافي. تُبقي اللغة والتقاليد والطقوس والحكايات حيّة.

لكن خارج ذلك العالم، الواقع قاسٍ: – مدارس بأجور زهيدة – رعاية صحية هشّة – إدمانات منتشرة – وظائف سيئة الأجر – تمييز خفيّ ودائم. إنها تحمل الجماعة والعائلة والهوية. ولا أحد يحميها كما تستحق.

غيابها تاريخي: بنت الولاية هويّتها على الشعوب الأصلية ثم تركتها وحدها.

امرأة المناطق التي تضربها الأعاصير – 39 عامًا

أوكلاهوما من أكثر الولايات تضرّرًا من الأعاصير القمعية. يمكن أن يحدث ذلك كل عام، في كل فصل. وحين يحدث، يمحو كل شيء.

تعيش رايتشل في منطقة ضُربت مرارًا. فقدت بيتين في حياتها: واحدًا وهي طفلة، وواحدًا وهي بالغة.

تعمل معلّمة. وكل عام عليها أن تدرّب تلاميذها على التمارين: الاختباء، وحماية أنفسهم، وتجاهل صوت الخوف.

حياتها مصنوعة من إعادات البناء: للبيوت، وللروتين، وللاستقرار.

غيابها مناخي: الطبيعة هي الحاكمة هنا، ومن يدفع العواقب هم دائمًا العائلات، أي النساء.

المرأة ذات الدخل المحدود – 29 عامًا

بروكلين —اسم شائع في المنطقة، لا مدينة— تعيش في ضاحية من ضواحي تولسا. بيوت قديمة، طرق مكسّرة، حافلات تمرّ متى شاءت.

تعمل في مطعم للوجبات السريعة. نوبات مجزّأة، تغييرات في الجدول في اللحظة الأخيرة، أجر في حدّه الأدنى. لديها ابنة في الثالثة. الحضانة تكلّف أكثر من راتبها. أمامها خياران: أن تترك الطفلة مع شخص لا تثق به أو أن تخسر عملها. عالمها مصنوع من: – فواتير متأخّرة – قسائم الطعام – ركض – قلق دائم – أحلام صغيرة لكنها لا تتحقّق أبدًا.

غيابها اقتصادي وبنيوي: أوكلاهوما تدفع إلى الأمام من نجحوا أصلًا وتترك خلفها من وُلدوا في هذه الضواحي.

خاتمة – أوكلاهوما

أوكلاهوما ولاية تبدو بسيطة، لكنها من أصعب الولايات للعيش فيها.

النساء أسيرات ثلاث قوى هائلة: – دين يحبسهن – فقر يستنزفهن – مناخ يدمّرهن.

كل إعادة بناء، وكل إنقاذ، وكل توازن هشّ يمرّ عبرها. لكن الولاية نادرًا ما تردّ شيئًا.

نأمّل – أوكلاهوما

ينبع غياب النساء في أوكلاهوما من مزيج خطير: تقاليد قوية، وفقر مستمر، وهويّات أصلية غير مرئية، وطبيعة لا ترحم.

هنا تعيش المرأة في تناقض دائم: أن تكون لا غنى عنها وأن تُتجاهَل.

يُثبت هذا الفصل أمرًا واحدًا بوضوح: المشقّة ليست عدالة. المقاومة ليست حرية. البقاء على قيد الحياة ليس تقدّمًا.

وفي أوكلاهوما، في أحيان كثيرة جدًّا، النساء لا يعشن: بل يقاومن.

أوريغون

تعيش أوريغون على أدقّ تناقض في الولايات المتحدة: صورة نظيفة، خضراء، ليبرالية، مثالية للسيّاح والحملات السياسية، وواقع اجتماعي مليء بتصدّعات عميقة.

بورتلاند، التي يُحتفى بها كمدينة تقدّمية، هي أيضًا مركز هائل للتشرّد والإدمان وأزمة الصحة النفسية واللامساواة المتزايدة. خارج بورتلاند، أوريغون تتغيّر: أرياف معزولة، مجتمعات بيضاء شديدة الفقر، وظائف غير مستقرة، موارد في حدّها الأدنى، وتوتّرات كامنة.

المرأة هنا لا تختفي لغياب الدور، بل بسبب الحِمل الزائد:

– عائلات بدخل واحد – تبعيّة للشريك – نقص في الخدمات – عزلة جغرافية – عمل هشّ – تكاليف مفرطة – غياب حماية حقيقية

أوريغون جميلة للنظر، لكنها قاسية للعيش.

امرأة بورتلاند – 29 عامًا

تعيش جوليا في الجانب الشرقي من بورتلاند. تعمل في متجر للأغذية الصحية، بالكاد تدفع الإيجار، وتتقاسم بيتًا مع شخصين آخرين.

تقدّم بورتلاند نفسها كمدينة «منفتحة، حسّاسة، اجتماعية»، لكن الحقيقة مصنوعة من: – شوارع مليئة بالمشرّدين – أزمة صحة نفسية في كل مكان – خدمات مختنقة – وظائف بأجور منخفضة – إيجارات ترتفع باستمرار. جوليا واحدة من أولئك الذين تستعملهم المدينة رمزًا لـ«روحها الشابة»، لكنها تعاملها كرقم مجهول.

غيابها اجتماعي: هي في كل مكان في النقاشات، ولا مكان لها في الحلول.

المرأة المهاجرة في قطاع المطاعم –

34 عامًا. روزا جاءت من غواتيمالا. تعمل في مطبخ مطعم مزدحم دائمًا، صاخب دائمًا، متوتّر دائمًا.

عشر ساعات في اليوم، ستة أيام في الأسبوع. أجر منخفض، بلا تأمين، عرق دائم، حرّ وضجيج.

كثير من زملائها الرجال يظنّون أنهم يستطيعون المزاح كما يشاؤون. لا يفعلون ذلك عن خبث؛ يفعلونه عن جهل وعادة. لكن ذلك يثقل عليها. تستهلكها التعليقات والنظرات والنكات الفظّة.

خارج العمل، ترسل المال إلى أقاربها. وفي الداخل، تُبقي كل شيء طافيًا.

غيابها اقتصادي وثقافي: تجعل قطاعًا كاملًا يدور لكنها تبقى غير مرئية للجميع.

المرأة الريفية – 52 عامًا

في شرق أوريغون، ثمة بلدات تبدو عالقة في عام 1985. بيوت قليلة، طرق طويلة، شتاءات قاسية، وتغطية هاتفية متقطّعة.

تعيش كارين في واحدة منها. لديها مزرعة صغيرة، وبعض الحيوانات، وعمل جانبي في متجر. تفعل كل شيء بنفسها. حين تحتاج إلى طبيب، عليها أن تقود ساعة. حين تحتاج إلى أي خدمة، عليها أن تحجز قبل أيام. حين يسوء شيء ما، لا يوجد أحد.

غيابها جغرافي: تعيش بعيدًا عن العالم، وليس باختيارها.

المرأة التي تعيل عائلة دمّرها

الإدمان – 43 عامًا. أوريغون من الولايات التي تسجّل أعلى معدّلات الإدمان. المواد الأفيونية، الميثامفيتامين، الكحول. انهيار بطيء لا يتوقّف أبدًا.

لتيسا شريك ضاع الآن. وطفلان صغيران. وعمل كأمينة صندوق في سوبرماركت. كل يوم عليها أن تحمي الطفلين، وأن تتعامل مع رجل لم تعد تعرفه، وأن تُبقي الحسابات متماسكة، وأن تقاتل نظامًا لا يقدّم أي حلول.

غيابها مؤسّسي: المجتمع يتحدّث منذ سنوات عن «أزمة»، لكن لا شيء يتغيّر لمن يعيشونها في البيت.

خاتمة – أوريغون

أوريغون ولاية تُحسن الترويج لنفسها، لكنها تُسيء حماية نفسها.

تعيش النساء بين طرفين: – تقدّمية جمالية – واقع اجتماعي عدواني.

هي من تتحمّل صدمة اللامساواة، ومن تعيل العائلات الهشّة، ومن تعمل في أكثر القطاعات استغلالًا، ومن تسند جماعات نسيتها السياسة.

جمال أوريغون لا يكفي لإنقاذها.

تأمّل – أوريغون

ينبع غياب النساء في أوريغون من حقيقة صارخة: لا يكفي أن تقول إنك حديث لتكون حديثًا.

النساء هنا يدفعن ثلاثة أثمان: – كلفة المعيشة – العمل الهشّ – العزلة الاجتماعية والجغرافية.

إنه غياب لا يولد من صراع مباشر، بل من لامبالاة عامة.

وهذا الفصل يوضح الأمر: خلف الغابات، والجبال، والبحيرات المثالية، ثمة أمريكا لا تعمل. وهذا يثقل بالكامل على النساء.

بنسلفانيا

بنسلفانيا من أكثر ولايات أمريكا انقسامًا. من جهة، المدن الكبرى — فيلادلفيا وبيتسبرغ— المشبعة بالتاريخ واللامساواة والنهضات غير المكتملة وجماعات لا تزال تحمل ندوبًا مفتوحة. ومن جهة أخرى، داخل ريفي ومحافظ، مزارع، مناجم مغلقة، بلدات راكدة، وعقليات قديمة.

هنا تختفي النساء بأربع طرق: – في الضواحي الفقيرة – في الجماعات الأمريكية الأفريقية التي يطبعها العنف – في الأرياف الراكدة – في المدن الحديثة التي تستهلكهن.

بنسلفانيا ولاية لا تغفر لمن وُلدوا بالقليل. والنساء، كالعادة، هنّ من يدفعن الثمن الأعلى.

امرأة الضواحي الفقيرة في فيلادلفيا

– 34 عامًا. تعيش شان في شمال فيلادلفيا. إنه حيّ قاسٍ، بمدارس متعثّرة وشوارع تشعر فيها بالتوتّر حتى في وضح النهار.

تعمل في متجر تخفيضات. لديها ابنة في السادسة. كل صباح، توصلها إلى المدرسة بمزيج من الأمل والخوف: أمل أن يكون لها مستقبل أفضل، وخوف من أن يبتلعها الحيّ.

الأجور منخفضة، والتكاليف مرتفعة، والخدمات غير كافية. المدينة تحتفل بـ«نهضتها»، لكن النهضة لا تصل أبدًا إلى بيتها.

غيابها حضري: تعيش في النقطة الدقيقة التي تقرّر فيها المدينة من يستحق الاهتمام ومن لا يستحقه.

امرأة حزام الصدأ في بيتسبرغ – 48 عامًا

صارت بيتسبرغ «تقنية» و«جامعية» و«مبتكرة». لكن المدينة العمّالية لم تختفِ: لقد انتقلت فقط إلى الضواحي، حيث لا ينظر أحد.

كانت ليندا عاملة لحام. حين أُغلق المصنع، لم تجد إلا أعمالًا بدوام جزئي: سوبرماركت، تنظيف، وخدمات.

التحوّل الاقتصادي كافأ الشباب ذوي التعليم العالي. لا النساء مثلها.

غيابها صناعي: المدينة الجديدة لم توفّر مكانًا لمن بنوا القديمة.

المرأة الريفية – 55 عامًا

خارج المدن، بنسلفانيا بلد آخر: تلال، مزارع، بلدات صغيرة جدًّا، كنائس في كل مكان، وعقلية لم تتغيّر منذ أجيال.

نشأت ماري هنا. لديها بيت، وقطعة أرض، وزوج يعمل من حين لآخر، وأولاد كبار.

تفعل كل شيء: – البيت – الحيوانات – الفواتير – الطبخ – رعاية المسنّين – أن تكون جسرًا بين العائلات.

هي محترمة، بالتأكيد. لكن كوظيفة، لا كفرد.

غيابها ثقافي: كل دور مكتوب سلفًا.

المرأة المهاجرة في ألنتاون – 37 عامًا

ألنتاون مليئة بالمهاجرين اللاتينيين والأفارقة والعرب والآسيويين. الاقتصاد يعتمد عليهم.

تعمل ريم في مصنع، في النوبة الصباحية. زوجها يعمل في النوبة الليلية. لا يرون بعضهم إلا ساعات قليلة في اليوم.

الأجر لا يكفي أبدًا، والعمل بدني، وخطوط التجميع صاخبة ولا ترحم.

تتكلّم لغتين، وتربّي ثلاثة أطفال، وتعمل نوبات مضاعفة عند الحاجة. غيابها اقتصادي ولغوي: إنها حضور لا غنى عنه في المدينة، لكنها لا وجود لها عند من يتّخذون القرارات.

خاتمة – بنسلفانيا

بنسلفانيا ولاية تعيش في المنتصف: نصفها حديث، نصفها عالق، نصفها غني، نصفها فقير، نصفها تقدّمي، نصفها عالق في الماضي.

النساء يعشن في الشقوق. ويمسكن معًا كل ما يتداعى: العائلات، والمدارس، والأحياء، والاقتصادات الهشّة.

لكن النظام يعدّها كومبارسًا، لا بطلة أبدًا.

تأمّل – بنسلفانيا. ينبع غياب النساء في بنسلفانيا من مسافة داخلية: المسافة بين ما كانته الولاية وما تودّ أن تكونه.

المدن الكبرى تستهلك، والأرياف تنكمش، والاقتصادات الوسطى تتخلّى.

المرأة ينتهي بها الأمر مسحوقة في الوسط، حيث لا ينظر أحد حقًّا.

هذا الفصل يوضح الأمر: التعب ليس حالة طارئة ليوم واحد، بل هو القاعدة اليومية لآلاف النساء.

رود آيلاند

رود آيلاند نسخة مصغّرة من كل ما ينجح وكل ما ينكسر في أمريكا: – مدن ساحلية باهظة – ضواحٍ فقيرة – صناعة اختفت – جماعات مهاجرة ضخمة – خدمات محدودة – تناقضات اجتماعية صارخة.

بروفيدنس مركزها: الثقافي، والأكاديمي، والفني. لكن إلى جانب الجامعات يقع بعض من أكثر أشكال الفقر الحضري تجاهلًا في الشرق. خارج المدينة،

تعيش البلدات الصغيرة على وظائف ضئيلة، وعمل بحري موسمي، وصناعات لا تعود.

المرأة هنا تختفي بالانضغاط:

كل شيء مكلف جدًّا، كل شيء قريب جدًّا، كل شيء صغير جدًّا للهروب.

المرأة اللاتينية في بروفيدنس – 30 عامًا

تعيش ماريسول في الجانب الجنوبي، أحد أفقر أحياء المدينة. تعمل في تنظيف المكاتب عند الفجر والمطاعم في الليل. عملان، بلا أي أمان.

تحبّ بروفيدنس أن تسمّي نفسها «مدينة مبدعة». بالنسبة إليها، الإبداع يعني ببساطة تدبير المعيشة حتى آخر الشهر.

ليس لديها تأمين. ليس لديها إجازات. ليس لديها هامش.

غيابها اقتصادي ولغوي: تعمل بقدر ثلاثة أشخاص، لكنها بالنسبة إلى الولاية رقم إحصائي.

المرأة الطالبة العاملة – 22 عامًا

تجتذب جامعة براون طلابًا من كل أنحاء العالم. لكن القادمين من عائلات متواضعة يعيشون رود آيلاند مختلفة.

تدرس رايتشل علم الاجتماع، وتعمل في مكتبة، وتعمل نادلة في البار في عطلات نهاية الأسبوع، وتتقاسم استوديو بإيجار مبالغ فيه.

هي ذكية، وقادرة، ومصمّمة، لكنها تحت ضغط هائل: – الدراسة – العمل – الديون – مستقبل غامض.

غيابها أكاديمي: الجامعة تحتفل بالتنوّع لكنها لا تحمي من يجمعن بين الدراسة والبقاء على قيد الحياة.

امرأة الساحل الموسمية – 41 عامًا

نيوبورت جميلة لمن يزورها. كارثة لمن يعيش فيها طوال العام.

تعمل تانيا في الصيف في مطعم على المرفأ. وفي الشتاء، تبحث عن أي عمل متاح: متاجر، تنظيف، عقود صغيرة.

سيّاح أغنياء، سكّان فقراء.

غيابها موسمي: لا غنى عنها ثلاثة أشهر، وغير مرئية في التسعة الأخرى.

امرأة البلدة الصغيرة – 54 عامًا

خارج بروفيدنس تقع رود آيلاند منسيّة: مصانع نسيج قديمة، مبانٍ حمراء، شوارع أنهكها الزمن. تعمل ليندا في مغسلة صناعية. حركات متكرّرة، بخار ساخن، نوبات لا تنتهي.

الأجور في حدّها الأدنى، والعمل شاق، والمستقبل يبقى على حاله.

غيابها صناعي: تعمل في ظلّ ماضٍ اقتصادي لن يعود أبدًا.

خاتمة – رود آيلاند

رود آيلاند صغيرة، لكن مشاكلها هائلة: إيجارات مرتفعة، أجور منخفضة، فرص محدودة.

النساء يعشن مسحوقات تحت كل هذا. دائمًا في الخطوط الأمامية، ولا يحميهن أحد أبدًا.

تأمّل – رود آيلاند

غياب النساء هنا ينبع من مفارقة: ولاية صغيرة جدًّا، عاجزة عن حماية أحد.

إنه غياب مصنوع من مساحات صغيرة وفرص صغيرة: أصغر من أن تتسلّق، وأضيق من أن تهرب.

وفي هذه المساحات الخانقة، تدير النساء ولاية كاملة تعدّهن جزءًا من المنظر الطبيعي.

كارولاينا الجنوبية

كارولاينا الجنوبية ولاية تناقضات صارخة: شواطئ مثالية وفقر مدقع، تاريخ استعماري وجماعات سوداء لا تزال فقيرة، مدن تنمو وضواحٍ راكدة، سياحة كأنها بطاقة بريدية، ووظائف بأجور منخفضة. إنها من الأماكن التي تحمل فيها النساء العبء الأكبر، بين التقاليد، والدين، والعائلة، والتكاليف الباهظة، والخدمات الفقيرة. وهي أيضًا من البلدان التي لا تزال فيها حرية النساء موضع نقاش، ومقيّدة، وتحت المراقبة.

كارولاينا الجنوبية تُحسن الهندام حين تحتاج إلى ذلك، لكن عمودها الفقري تحمله نساء لا يراهن أحد.

المرأة الأمريكية الأفريقية في لو كاونتري – 36

عامًا

تعيش أمينة في تشارلستون، في جماعة غولا غيتشي. تحمل إرثًا ثقافيًا هائلًا: تاريخًا من العبودية والمقاومة وهويّة حُفظت رغم كل شيء.

تعمل في مطعم سياحي في وسط المدينة. تقدّم أطباقًا مستوحاة من ثقافتها لأناس لا يعرفون شيئًا عن تاريخها.

هي أمّ، وابنة، وعاملة. تعمل نوبات طويلة، وتدفع ما يُعدّ مرتفعًا بمقياس المدينة لكنه منخفض بمقياس العيش هنا، لأن تشارلستون صارت باهظة جدًّا على من وُلدوا فيها.

غيابها تاريخي وحضري: تاريخ السود هنا هو أساس كل شيء، لكنه يبقى خارج الرواية الرسمية.

المرأة البيضاء في الجنوب المحافظ – 42

عامًا

تعيش ميغان في منطقة ريفية بين أندرسون وغرينوود. عائلتها محافظة، والكنيسة في المركز، والجماعة منغلقة. هنا القواعد غير مكتوبة، لكنها أصرم من القانون. زوجها يعمل في البناء، وهي تعمل أمينة صندوق في متجر كبير.

كل خيار يُوزَن: كيف تلبس، ماذا تقول، بماذا تفكّر. الطلاق يُعدّ فضيحة. ألّا يكون لديك أطفال خطيئة. أن تطلبي الاستقلالية «نقص في الإيمان».

غيابها ثقافي: تعيش في دور قرّره الآخرون، وتغييره يعني خسارة كل شيء.

امرأة السياحة في ميرتل بيتش – 29 عامًا

تعمل جيمي في فندق على الساحل. الاستقبال في الصيف، والتنظيف في الشتاء، وأيّ شيء تقتضيه الحاجة.

تبدو ميرتل بيتش جنّة لمن يزورها، لكنها قفص لمن يعمل فيها: أجور منخفضة، إيجارات مرتفعة، موسمية كاملة، صفر استقرار.

تعيش جيمي في شقة صغيرة مشتركة. تعمل ستة أيام في الأسبوع. وحين ينتهي الموسم، عليها أن تأمل شتاءً معتدلًا.

غيابها اقتصادي: كل شيء يدور حول السيّاح؛ لا شيء يدور حول السكّان.

المرأة بلا تأمين صحي – 55 عامًا

كارولاينا الجنوبية من الولايات الأقلّ وصولًا إلى الرعاية الصحية. كثير من النساء العاملات بلا تأمين. كثيرات يتخلّين عن علاج أساسي. تعمل ليندا عاملة تنظيف في عيادة. ترى الرعاية الصحية من الداخل كل يوم، لكنها لا تستطيع تحمّل كلفتها لنفسها.

لديها ألم مزمن في يديها، لكنها لا تستطيع التوقّف. تخاف من الفحص الطبي لأنها تعرف أنها لن تستطيع دفع ثمن العلاج.

غيابها مسألة صحية: تعمل حول رعاية الآخرين ولا حقّ لها في رعايتها هي.

خاتمة – كارولاينا الجنوبية

كارولاينا الجنوبية ولاية تعيش في توتّر دائم بين الحداثة والتقاليد، بين ثروة ظاهرة وفقر مخفيّ.

النساء يدفعن ثمن كل التناقضات: – دين جامد – أدوار مغلقة – سياحة استغلالية – عنصرية متجذّرة – رعاية صحية بعيدة المنال – أجور منخفضة جدًّا.

إنها عمود يسند البناء، لكنها تُعامَل كزينة صغيرة.

تأمّل – كارولاينا الجنوبية

هنا، ينبع غياب النساء من تشابك مثالي بين: تاريخ ثقيل، ودين مهيمن، واقتصاد هشّ.

النساء يعشن محاصرات بين الماضي والحاضر: الماضي يقيّدهن، والحاضر يستهلكهن، والمستقبل غير مضمون.

وهذا الفصل يكشف الحقيقة العارية: كارولاينا الجنوبية ليست بطيئة لأنها تريد ذلك. إنها بطيئة لأنها لا تريد أن تتغيّر. ومن يدفع ثمن هذا الجمود هنّ دائمًا النساء.

فرديناندو فريغا